

## التحرير والتنوير

وعقب ذلك بجملة ( وله الكبرياء في السماوات والأرض ) للإشارة إلى أن استدعاءه خلقه لحمده إنما هو لنفعهم وتزكية نفوسهم فإنه غني عنهم كما قال ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ) .

وتقديم المجرور في ( وله الكبرياء ) مثله في ( فالحمد ) . والكبرياء : الكبر الحق الذي هو كمال الصفات وكمال الوجود .

ثم أتبع ذلك بصفتي ( العزيز الحكيم ) لأن العزة تشمل معاني القدرة والاختيار والحكمة تجمع معاني تمام العلم وعمومه .

وبهذه الخاتمة آذن الكلام بانتهاء السورة فهو من براعة خواتم السور .

بسم الله الرحمن الرحيم .

سورة الأحقاف .

بهذا تسميتها ووردت السنة وكتب المصاحف جميع في ( الأحقاف سورة ) السورة هذه سميت A E الاسم في كلام عبد الله بن عباس . روى أحمد بن حنبل بسند جيد عن ابن عباس قال " أقرأني رسول الله من آل حم وهي الأحقاف " وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت ثلاثين .

وكذلك وردت تسميتها في كلام عبد الله بن مسعود أخرج الحاكم بسند صححه عن ابن مسعود " قال : أقرأني رسول الله سورة الأحقاف " الحديث .

وحديث ابن عباس السابق يقتضي أنها تسمى ثلاثين إلا أن ذلك لا يختص بها فلا يعد من أسمائها . ولم يذكرها في الإتيان في عداد السور ذات أكثر من اسم .

ووجه تسميتها ( الأحقاف ) ورود لفظ الأحقاف فيها ولم يرد في غيرها من سور القرآن .

وهي مكية قال القرطبي : باتفاق جميعهم وفي إطلاق كثير من المفسرين . وبعض المفسرين

نسبوا استثناء آيات منها إلى بعض القائلين فحكى ابن عطية استثناء آيتين هما قوله تعالى

( قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به ) إلى ( الظالمين ) فإنها أشارت إلى إسلام عبد

الله بن سلام وهو إنما أسلم بعد الهجرة وقوله ( فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ) .

وفي الإتيان ثلاثة أقوال باستثناء آيات ثلاث منها الاثنان اللتان ذكرهما ابن عطية

والثالثة ( ووصينا الإنسان بوالديه ) إلى قوله ( خاسرين ) . وسيأتي ما يقتضي أنها نزلت

بعد مضي عامين من البعثة وأسانيد جميعها متفاوتة . وأقواها ما روي في الآية الأولى منها

وسنبين ذلك عند الكلام عليها في مواضعها .

وهذه السورة معدودة الخامسة والستين في عداد نزول السور نزلت بعد الجاثية وقبل الذاريات .

وعدت آيها عند جمهور أهل الأعمار أربعا وثلاثين وعدّها أهل الكوفة خمسا وثلاثين والاختلاف في ذلك مبني على أن ( حم ) تعتبر آية مستقلة أو لا .  
أغراضها .

من الأغراض التي اشتملت عليها أنها افتتحت مثل سورة الجاثية بما يشير إلى إعجاز القرآن للاستدلال على أنه منزل من عند الله .

والاستدلال بإتقان خلق السماوات والأرض على التفرد بالإلهية وعلى إثبات جزاء الأعمال .  
والإشارة إلى وقوع الجزاء بعد البعث وأن هذا العالم صائر إلى فناء .  
وإبطال الشركاء في الإلهية . والتدليل على خلوهم عن صفات الإلهية .  
وإبطال أن يكون القرآن من صنع غير الله .

وإثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم واستشهاد الله تعالى على صدق رسالته واستشهاد شاهد بني إسرائيل وهو عبد الله بن سلام .

والثناء على الذين آمنوا بالقرآن وذكر بعض خصالهم الحميدة وما يضادها من خصال أهل الكفر وحسدهم الذي بعثهم على تكذيبه .

وذكرت معجزة إيمان الجن بالقرآن .

وختمت السورة بتثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأقحم في ذلك معاملة الوالدين والذرية مما هو من خلق المؤمنين وما هو من خلق أهل الضلالة .

والعبرة بضلالهم مع ما كانوا عليه من القوة وأن الله أخذهم بكفرهم وأهلك أمما أخرى فجعلهم عظة للمكذبين وأن جميعهم لم تغن عنهم أربابهم المكذوبة .

وقد أشبهت كثيرا من أغراض سورة الجاثية مع تفنن .

( حم [ 1 ] ) تقدم القول في نظيره في أول سورة غافر .

وهذه جملة مستقلة مثل نظائرها من الحروف المقطعة في أوائل من سور القرآن .

( تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم [ 2 ] ) تقدم القول في نظيره في أول الجاثية .

( ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا

معرضون [ 3 ] )